الخاتم

أقصوصة مصرية

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

« خبئي خاتمي ... بسرعة ! »

« ماذا ؟ »

« خذي ... أخفيه ... ألا ترين هؤلاء الثلاثة المقبلين في مثل ثياب الأوشاب ؟ أسرعي ... يا لك من بلهاء ... لا بأس ، سأتركه هنا ؟ فما أظن أحداً يلمس هذين أو يدس يده بينهما »

ودست الخاتم بين ثديي أختها الناهدين الراسخين وتركتها ومضت

وكان الثلاثة الأوشاب ، أو الذين آثروا أن يتنكروا في هذا الزي يتنقلون بين السيدات على عجل ، وينزعون عنهن ما يسهل نزعه من الحلى ، ويتركونهن ما بين ذاهلة مفتوحة الفم جاحظة العين ، ومغشي عليها من الخوف ، وصارخة تستغيث وتصيح : « أدركوني ... يا بوليس ! » وكان بعض الرجال قد حاولوا أن يصدوا هؤلاء الأوباش ولكن فوهات المسدسات ردتهم وأرخت أيديهم إلى جنوبهم وألصقت ظهورهم بالجدران

وتقدم أول الثلاثة من جليلة ، وهي واقفة تنتفض ولا تكاد تقوى ساقاها على حملها ، وترى الكرسي إلى جانبها ولا يخطر لها أن تقعد لفرط ما انتابها من الاضطراب والجزع ، وتناول كفيها ورفعهما وهو يتأملهما ثم سمد عينه إلى وجهها وقال : « غريب ! فتاة جميلة مثلك لا تلبس حلياً ؟ وهؤلاء جميعاً محشودون هنا احتفالا بك ؟ غريب ! »

وهوى بكفيه إلى فخذيها يتحسس ثنية الجوربين عليهما عسى أن تكون قد خبأت هناك شيئاً ، ولما لم يجد شيئاً انصرف عنها وهو يهز رأسه مستغرباً

وغادر الثلاثة البيت ، كما دخلوا ، من الباب ، صفاً واحداً لا متريثين ، ولا عجلين ، ولا متلفتين ، كأنما كان دخولهم وتفتيش السيدات أمراً عادياً مما يحدث كل يوم ! فعلت الأصوات وانطلقت ، بعد طول الاحتباس ، وتصادمت الأجسام بعد أن استردت قدرتها على الحركة

ودخل صاحب البيت وهو ينفخ ويمسح العرق المتصبب ولحظ على كرسي خف به الموجودون وألحوا عليه بالأسئلة ، وهو لا يجيب . ثم انتظمت أنفاسه فقال :

« اطمئنوا ... لم يضع شيء ... كل ما أخذوه ألقوه في الدهليز ... يظهر أنها مزحة . ألا قبح الله هذه المساكن الخلوية ... لو لم يكن بيتنا بعيداً عن المساكن لما اجترأ هؤلاء الأشرار أن يركبونا بهذا المزاح البارد المزعج ... ولكن لا بأس ... والآن سيداتي وسادتي ، تستطيعون أن تعودوا إلى الرقص والمرح »

وتفرق المدعوون يستعيدون ما فقدوا ، وأقبلت « إحسان » على أختها تقول لها :

« هاتي الخاتم يا جليلة ... »

ولم تتم كلامها ، إذا صح أنها كانت تريد أن تقول غير ذلك ، فقد دخل بينهما في هذه اللحظة

شاب فى زى شيطان ، وأحاط خصر جليلة بذراعه وهو يقول :

« هذه رقصتى »

فهزت إحسان رأسها وقالت لنفسها : « لا بأس ولا داعى للعجلة ، فان الخاتم فى أمان ولن يخطفه مراقصها وإن كان عفريتاً »

وقال العفريت لجليلة وهو يطوف بها : « ما أحلى أن ترقص الشياطين والملائكة معاً ! » وصوب عينه وهو يهمس بذلك إلى صدرها ، وكان يدنيها منه ويشد عليها ، وكانت هى تحاول عبثاً أن تتخلص من هذا الذى يشبه العناق ، فيخيل إليها أن حدقتيه البارزتين من ثقبى القناع تومضان ساخرتين ، فتقول له بصوت كأنما يراه الضعف والتفتر والخوف والرغبة وهذا الخدر الذى صارت تحسه يدب فى جسمها :

« أرجو ... إسمح لى » ثم تجيل عينيها فيما حولها وهى تحدث نفسها أن عليها أن تتفلت من أسر يديه فلا يزيدها ذلك إلا اضطراباً

وأسر إليها : « آسف ... هل نخرج إلى الشرفة ؟ »

فقالت : « نعم ... من فضلك لا أريد أن أبقى هنا ... سأذهب إلى غرفتى »

فقال : « سيكون ماتريدين ياعصفورتى الجميلة »

وظل يراقصها وهو يتخلل بها المدعوين حتى خرجا الى الشرفة ، ثم مال بها يسرة حتى وقفا عند باب ، وهناك انحنى عليها ، وحناها على ذراعه ، فانقطع رباط ثديها ، وسمع هو الصوت فابتسم واعتدل ، ودفع أصابعه بسرعة وخفة والتقط الخاتم ، وقال وهو يلثمها : « والآن أستودعك الله ... سأذهب أنا أيضاً ، فما أريد أن أراقص أحداً غيرك ... ولكنى أرجو أن تقولى لإحسان حين ترينها فى الصباح إن الشيطان لا بيأس ... وإلى اللقى يا فتاتى الحسناء »

* * *

واستيقظت جليلة عند الضحى ، فكان أول ما تذكرته هذا الشيطان الذى لم تر وجهه ، ولكنها لا تزال تشعر كأن ذراعه على خصرها ، ودخلت عليها إحسان وهى تحلم بهذا وعيناها مفتوحتان ، فاحتاجت أن تهزها — وإن لم تكن نائمة — لتردها إلى هذا العالم ، وقالت لها : « الخاتم ... هاتيه »

فأفاقت جليلة جداً لما دست أصابعها بين ثديها فلم تجده ، وقالت وهى تنهض وتهز قميصها وتنفضه : « لقد كان هنا ... لا أذكر أنى أخرجته ... لقد كنت أرقص مع أحد ضيوفك (واضطرم وجهها لهذه الذكرى) ثم عدت إلى غرفتى ونمت ... »

فصاحت بها إحسان : « من كان هذا ؟ إن المدعوين ليسوا لصوصاً ... تذكرى أين وضعته »

قالت جليلة : « لا أعرفه ، لقد كان فى زى شيطان ... ورجانى وهو يودعنى أن أقول لك إن الشيطان لا بيأس »

فقالت إحسان : « لعنة الله عليه ... لن أرى الخاتم بعد ذلك أبداً . لقد نجح حيث فشل لصوصه الذين جاء بهم »

فقالت جليلة : « لست فاهمة ... إنه أحد الضيوف ... وإذا كنت تعرفينه فلا شك أنه سيعيد إليك الخاتم »

فصاحت إحسان : « يا بلهاء ... إنه ليس

شاب فى زى شيطان ، وأحاط خصر جليلة بذراعه وهو يقول :

« هذه رقصتى »

فهزت إحسان رأسها وقالت لنفسها : « لا بأس ولا داعى للعجلة ، فان الخاتم فى أمان ولن يخطفه مراقصها وإن كان عفريتاً »

وقال العفريت لجليلة وهو يطوف بها : « ما أحلى أن ترقص الشياطين والملائكة معاً ! » وصوب عينه وهو يهمس بذلك إلى صدرها ، وكان يدنيها منه ويشد عليها ، وكانت هى تحاول عبثاً أن تتخلص من هذا الذى يشبه العناق ، فيخيل إليها أن حدقتيه البادبتين من ثقبى القناع تومضان ساخرتين ، فتقول له بصوت كأنما يراه الضعف والتفتر والخوف والرغبة وهذا الخدر الذى صارت تحسه يدب فى جسمها :

« أرجو ... إسمح لى » ثم تجيل عينيها فيما حولها وهى تحدث نفسها أن عليها أن تتفلت من أسر يديه فلا يزيدها ذلك إلا اضطراباً

وأسر إليها : « آسف ... هل نخرج إلى الشرفة ؟ »

فقالت : « نعم ... من فضلك لا أريد أن أبقى هنا ... سأذهب إلى غرفتى »

فقال : « سيكون ماتريدين ياعصفورتى الجميلة »

وظل يراقصها وهو يتخلل بها المدعوين حتى خرجا الى الشرفة ، ثم مال بها يسرة حتى وقفا عند باب ، وهناك انحنى عليها ، وحناها على ذراعه ، فانقطع رباط ثديها ، وسمع هو الصوت فابتسم واعتدل ، ودفع أصابعه بسرعة وخفة والتقط الخاتم ، وقال وهو يلثمها : « والآن أستودعك الله ... سأذهب أنا أيضاً ، فما أريد أن أراقص أحداً غيرك ... ولكنى أرجو أن تقولى لإحسان حين ترينها فى الصباح إن الشيطان لا بيأس ... وإلى اللقى يا فتاتى الحسناء »

* * *

واستيقظت جليلة عند الضحى ، فكان أول ماتذكرته هذا الشيطان الذى لم تر وجهه ، ولكنها لا تزال تشعر كأن ذراعه على خصرها ، ودخلت عليها إحسان وهى تحلم بهذا وعيناها مفتوحتان ، فاحتاجت أن تهزها — وإن لم تكن نائمة — لتردها إلى هذا العالم ، وقالت لها : « الخاتم ... هاتيه »

فأفاقت جليلة جداً لما دست أصابعها بين ثديها فلم تجده ، وقالت وهى تنهض وتهز قميصها وتنفضه : « لقد كان هنا ... لا أذكر أنى أخرجته ... لقد كنت أرقص مع أحد ضيوفك (واضطرم وجهها لهذه الذكرى) ثم عدت إلى غرفتى ونمت ... »

فصاحت بها إحسان : « من كان هذا ؟ إن المدعوين ليسوا لصوصاً ... تذكرى أين وضعته »

قالت جليلة : « لا أعرفه ، لقد كان فى زى شيطان ... ورجانى وهو يودعنى أن أقول لك إن الشيطان لا بيأس »

فقالت إحسان : « لعنة الله عليه ... لن أرى الخاتم بعد ذلك أبداً . لقد نجح حيث فشل لصوصه الذين جاء بهم »

فقالت جليلة : « لست فاهمة ... إنه أحد الضيوف ... وإذا كنت تعرفينه فلا شك أنه سيعيد إليك الخاتم »

فصاحت إحسان : « يا بلهاء ... إنه ليس

شيفاً ... هو ابن زوجي ... أسعد ... وهذا خاتم أمه ، وكان يريد أن يحتفظ به ، ولكني أغريت أباه بأن يعطينيه ؛ فهو يكرهني ويحقد علي ، وقد فسد ما بيننا بعد ذلك فآثر أن يعيش وحده ، فإن به غنى عن أبيه ، ولا يزورنا قط ... والآن قد استرده ... »

* * *

ولم تر جليلة أن تنهض عن سريرها فبقيت مستلقية عليه تفكر ... إذن لم يكن أسعد يراها جميلة ، ولم يكن يدعوها عصفورته ، ويهمس في أذنها بألفاظه المعسولة إلا ليخدعها ، وكان الخاتم همه الوحيد ... وكل ما يبغيه هو أن يسترده ، على حين كانت هي لبلاهتها تتوهم أنه مفتون بها !

ودار في نفسها خاطر آخر أوجع وآلم ، ذلك أنها عاشت إلى الآن بعيدة عن أختها أكثر الوقت لأنها كانت في المدرسة ، فهل كل ما دفع أسعد إلى مغادرة بيت أبيه هو انتزاع الخاتم منه ، وإيثار امرأة أبيه به عليه ؟ ! ألا يمكن أن يكون قد رأى من إحسان ما جعله يفر منها حرصاً على كرامة أبيه ؟ ولكن جليلة نفت هذا الخاطر المنكر الذي أدارته الغيرة في نفسها

ولكنها لم تكن مخطئة ، فما فرّ أسعد من بيت أبيه إلا لأن إحسان تطارده فيه ، وإن كانت لم ترد على التودد

وهكذا اتفق في ذلك اليوم أن كانت اثنتان تفكران في أسعد — جليلة وهي راقدة على سريرها تتمنى أن يعود لتراه كما هو لا في زيّ شيطان ، وإحسان وهي تروح وتجيء في البيت ، تدعو الله أن يظل أسعد بعيداً مخافة أن يفتتن بأختها الحسناء الصابحة الوجه ...

ومضت الأيام ، وفي نفس كل منهما أمنيتها ، وكانت جليلة تجد نفسها على الأيام عاجزة عن إحسان الظن بأختها إحسان ، وكان استبداد هذا الخاطر بنفسها وإلحاحه عليها على الرغم من مجاهدتها له وثورتها عليه ، يثيران غيرتها ويدفعانها إلى العناد ، فتأبى أن تقبل من أختها وزوجها شيئاً ، وترفض أن ترافق أختها إلى حيث تذهب ، وتصر على البقاء ، وتطيل خلوتها بنفسها

وفي مساء يوم ، دخلت غرفة المكتب لتعيد كتاباً وتستعير غيره ، فاتفق أن لمست أصابعها أوراقاً على المكتب فأطارتها ، فانحنت لتعيدها إليه ، فاذا بها تقرأ في واحدة هذه الرسالة الوجيزة إلى زوج أختها :

« آسفة جداً ، وقد تركت لك رسالة وردتني من أسعد وهي تقص عليك القصة كلها ، فلا حاجة بك إلى شرح مني ، فأستودعك الله

إحسان »

فقرضت جليلة أسنانها ، ومزقت الرسالة على غير عمد منها ، ثم نظرت في الورقة الأخرى التي ذكرتها إحسان في كتابها فقرأت فيها :

« عزيزتي الجامدة المتعبة

لقد يئست ، وإنك لتعلمين أني لا أستطيع أن

أزورك فى هذا البيت ، ولكن فى وسعك أنت أن تزورنى ، ويجب أن تزوريني ، فان هناك أمراً أريد أن نتفق عليه . واعلمى أنى لم أذق طعم الراحة مذ استعدت الخاتم »

ففهمت كل شىء ، ولم يخف عليها أن هذه الرسالة لها ، لا لأختها ، ولكن الذى لم تستطع أن تفهمه هو أن تخاطر أختها على هذا النحو ، وتهجر بيتها وزوجها وتذهب إلى من لا يريدها ... إذن يجب أن تذهب هى إلى بيت أسعد لتتدارك الأمر ، وتصلح الخطأ وتمنع الفضيحة

ولم تجد عناء فى دخول البيت بلا استئذان ، فقد كان بيتاً صغيراً ، تحيط به حديقة ، ومن السهل التسلل إلى أية غرفة ، إذا كان هناك شباك أو باب مفتوح

ودخلت حتى صارت فى غرفة تتصل بأخرى بباب موارب ، فوقفت وراءه ساكنة فقد سمعت أصواتاً ، وإذا بأسعد يقول :

« إنى لم أكتب إليك هذه الرسالة ، وأنت تعلمين ذلك »

وقالت الأخت المغامرة : « بالطبع أعرف هذا . إن هذه الفتاة التى تفتنك وتسبيك وتسلبك لبك ، لم ترد على أن تضحك مقهقهة لما قرأت رسالتك إليها ... إن قلبها من حجر ... أو هو لوح من الثلج ... »

فسألها : « هل تعنين أنها لا تبادلنى حبًّا بحب وأنها لن توافق على الزواج ؟ »

فضحكت وقالت : « إنها لا تشعر أنك موجود فلا تخدع نفسك ، وخير لك أن تقصر ... »

ونهض أسعد — فقد سمعت جليلة حركة تدل على ذلك — وقال وهو يتمشى فى الغرفة :

« إنك لست أختاً لها ... لا يمكن أن تكونى أختها ... أنت ... أنت ... لا أعرف ماذا أنت ، ولكنى أعرف أنك ماكرة خبيثة ، وكل عجبى أن تكون هذه الفتاة الطيبة الساذجة أختك ... مستحيل »

وفى هذه اللحظة دق الجرس ففتح الخادم الباب ؛ ودخل الزوج — زوج إحسان — يمشى بخطى سريعة ، ومن حسن الحظ أنه دخل من ناحية أخرى فلم ير جليلة ، وأبصر زوجته على أريكة ، والسيجارة بين أصابعها ، وابنه يتمشى مطرقاً ، فوقف ونظر منها إليه ثم قال :

« هل هذه الرسالة منك يا أسعد ؟ »

فنظر إليها أسعد ثم قال : « نعم يا أبى »

وفى هذه اللحظة خطر لجليلة خاطر بمثل سرعة البرق ، ففتحت الباب وهى تقول : « هذا أنت يا عمى ! ! أوه ما هذا الذى بيدك ... رسالة أسعد إلىّ ؟ أشكرك ... لقد خفت أن تكون قد وقعت فى يد أختى ، فتتبعنى إلى هنا »

فنظر الرجل إلى الرسالة التى فى يده ، ثم رفع عينيه إلى ابنه ، وتنفس الصعداء ، ثم التفت إلى جليلة وسألها :

« أهى رسالة منه إليك ؟ »

فقالت : « بالطبع ! ولن تكون غيرى ؟ إن أختى لا تحبه ، فهو لا يجيء إلى بيتك ، ولهذا طلب منى أن أجيء أنا إليه ، ولما رأيت أن أختى جاءت اختبأت ، لأن أسعد أشار علىّ بذلك ووعد أن يتخلص منها بسرعة فانها تعترض جداً على أن أتصل بأسعد »

وهنا تناول أسعد يد جليلة وقال : « إذا كان لا مانع عندك يا أبى من زواجنا ، فأرجو أن تقنع زوجتك بالموافقة »

فقال الرجل : « إن اعتراضها لا يمكن أن يكون إلا سخيفاً . تعالى يا إحسان . لماذا لم تحدثينى بكل ذلك من قبل ؟ كان يجب أن تشاوريني فان جليلة كبنتى ولها علىّ حقوق ... على كل حال حصل خير ... تعالى نخرج ... ولندعهما ... »

* * *

وسأل أسعد :

« أظنك لم ترى رسالتى إلا بعد أن خرجت أختك »

فقالت جليلة : « صحيح ، وقد مزقت كتابها إلى أبيك ، ولكنها لا تعرف ذلك ، فستظل قلقة لا تدرى هل عرف زوجها أنها همت بهجره أو لم يعرف »

فقال أسعد : « إن هذا القلق أقل ما تستحق. هاتي قبلة ، ولنخرج إلى السينما ... »

ونزع الخاتم من إصبعه ووضعه لها فى أصبعها

ابراهيم عبد القادر المازنى

الصيف خفيف هذا العام

لأن

شركة مصر للغزل والنسج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

معتدلة فى أثمانهـــــا .. جميلة فى ألوانهـــــا

فبادروا بأخذ طلباتكم